

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن حامد بن يحظيه غفر الله له ولوالديه:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثـيرا، وبعد فهذا شرح مختصر على قصيدة: لقد كان خير الخلق، كتبته مستعينا بالله تعالى امثالاً لأمر بعض من لاتسع مخالفته، وجل اعتمادي فيه على القاموس وشرحي الشفا وشمائل الترمذي، وهي للشيخ زروق شارح الرسالة والإرشاد، وهو أحمد بن محمد بن أحمد المالكي البرنسي الفاسي ولد بطرابلس ليبيا سنة ٨٤٦ وتوفي رحمه الله سنة ٨٩٩.

قال رحمه الله:

من البدر بل من شمسه هو أهب
بهي بهيج الوجه أبيض مشرب
كحيل جفون أدعج العين أهدب
كأن المها في وجهه ليس تغرب
طويل بنان واسع الصدر أشنب
ضليع قم ضخم الكراديس قلب
جبينا طليق الوجه ليس يقطب
سواء الحشى والصدر عذب مؤذب
كأن ثناياه بروق تلهب
ذكي حجي سبط العظام مطيب
قصيرا لا هو الطويل المشذب
مماشيه ولو إلى الطول ينسب
ق مشربة ألقى وجيه مرجب
فكانوا سواء فيه وهو لهم أب
وإما تخالطه فخلق محبب
كريم السجايا للخنى متجنب
ويمشي الهوينى دائم البشر طيب
تضمنها نظمي بها الدهر أعذب
بمدحك الأجواد بالمدح تطلب
لمدحي فقيرا بل أنا المتكسب
أقله فيك إنني لمخيب
زكاة على أهل القوائد توجب
وآلك أصحاب ما كوكب

لقد كان خير الخلق أبهر طلعة
جميل المحيا أزهر اللون أبلج
أشم أزج الحاجبين مفلج
مدور وجه أنور المتجرد
أسيل خدود أنجل كثر لحية
جليل مشاش بادن متماسك
بعيد الذي بين المناكب واسع
مرجل شعر جعده رجب راحة
إذا افترريء النور من فيه خارجا
حكى ثغره حب الغمام إذا بدا
قويم قناة لم يكن مترددا
ولكن وسيطا ربعة القد طائلا
طويل سكوت سالم صدره دقيق
وقد وسع الأقوام حلما ب
مهيب إذا لاقيته عن بديهة
أشد من العذرا حياء بخدرها
يزول تقلعا ويمشي تكفا
فدونك من أوصافه الغر جملة
أحمد هذا أحمد متوسلا
مدحك يا خير الأنام لم تكن
لئن كنت ممن يحسن المدح ثم لم
فمدحك بالنظم المجود حوكه
عليك صلاة الله مسيا بكرة

وقد زاد بعض الناس في أولها هذا البيت:
حلفت يمينا غير ذي مثنوية وليس وراء الله للمرء مطلب

وليس هو منها والمثنوية الاستثناء يعني أنه لا يستثني في يمينه هذه لأنه غير حانت.

لقد كان خير الخلق أبهر طلعة من البدر بل من شمسه هو أهب

الطلعة: البدر، والأبهر: النير، والبدر: القمر ليلة تمامه، واللهب: اشتعال النار إذا خلص من الدخان والأهب: الأبيض المنير المشرق.
 يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان أشد بياضا وإشراقا من الشمس والقمر و كل ما هو مشرق في الوجود : ما وقف صلى الله عليه وسلم مع ه ضوءها وما وقف مع قمر قط إلا غلب ضو .

جميل المحيا أزهر اللون أبلج بهي بهيج الوجه أبيض مشرب

المحيا: الوجه واللون الأزهر: هو الأبيض الحسن الواضح : هو هو أيضا خلاف الأقرن والبهيج:
 يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان حسنا جميلا مشرقا مستبشرا ظاهر الوضاعة : هو المخالط بلون آخر يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض مائلا إلى الحمرة كما جاء في الروايات.

أشم أزج الحاجبين مفلج كحيل جفون أدعج العين أهدب

: والأشم أيضا الرجل ذو الأنفة يطلقون ذلك على الرجل الشريف للدلالة على جماله وسؤدده لو لم يكن أنفه أشم هو كذلك هنا لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أشم بل هو أقنى كما سيأتي. الأزج في الحاجبين: هو دقتهما استواءهما جب الأزج هو المقوس كذلك كان حاجباه صلى الله عليه وسلم دقيقين سويين لا تعدو شعرة منهما وفي حديث هند: أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب. يعني أن حاجبيه صلى الله عليه وسلم لم يكونا مقترنين بل كان بينهما فرجة خفيفة يسمى من كان كذلك أبلج وهو خلاف الأقرن. :

المتباعد ما بين الأسنان أو الثنايا. الجفن الكحيل: هو الذي فيه سواد يشبه أن يكون ليس كذلك دعج العين: هو شدة سواد سوادها مع شدة بياض بياضها وهدب الأشفار: طولها كثرة شعرها ن عينيه صلى الله عليه وسلم خلقتا على أحسن ما خلقت عليه عين بشر.

مدور وجه أنور المتجرد كأن المها في وجهه ليس تغرب

الوجه المدور: هو المستدير لم يكن صلى الله عليه وسلم مدورا كل الاستدارة كان فيه بعض ذلك يسمى ذلك بالسهولة فهو صلى الله عليه وسلم سهل الوجه كما جاء في حديث هند : النير الأبيض المتجرد بفتح الراء ويصح كسرهما: ما يتجرد عنه الثوب من جسم الإنسان يعني أن جسده الشريف صلى الله عليه وسلم كان أبيض نيرا والمها: .
يعني أن وجه النبي صلى الله عليه وسلم كان مضيئا دائما كأن في وجهه شمس ليست تغرب لأنه يشرق في النهار وفي الظلام قال أبو هريرة: في وجهه.

أسيل خدود أنجل كحلية طويل بنان واسع الصدر أشنب

الخد الأسيل: الطويل وكل مسترسل فهو أسيل ووجهه صلى الله عليه وسلم لم يكن تام الاستطالة بل كان وسطا بينها وبين التدوير سهلا كما مر وقد قيل إنه إلى الطول : واسع العينين والحلية الكثة: هي الحسنة الكثيرة الشعر غير طويلة جدا لا رقيقة : والعرب تمدح بسعة العين وطول الأصابع وحسن الحلية وكان صلى الله عليه وسلم واسع الصدر عريضه كما في الروايات : رقتها يصف بذلك حسن فم النبي صلى الله عليه وسلم طيبه.

جليل مشاش بادن متماسك ضليع فم ضخم الكراديس قا

الجليل: العظيم : هي رؤوس العظام الكراديس: وهي كل عظمين التقيا في مفصل يعني أن رؤوس عظامه صلى الله عليه وسلم مفاصله كانت تامة حسنة عظيمة : الكثير اللحم. ومعنى ضليع الفم: عظيمه واسعه هو من تمام : المحتال البصير بالأمور.

بعيد الذي بين المناكب واسع جبيناً طليق الوجه ليس يقطب

يعني ببعيد الذي بين المناكب أنه صلى الله عليه وسلم كان واسع الصدر عريضه كذلك سعة الجبين وهو الجبهة أو طرفاها الأعليان واطليق الوجه: المستبشر المنبسط الذي لا يقطب جبينه أي لا يزوي ما بين عينيه يشير بذلك إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم البشر كما سيأتي.

مرجل شعر جعده رحب راحة

: هو الذي فيه تثن قليل : يعني أن شعره صلى الله عليه وسلم لم يكن جعداً قطاً كشعر السودان ولا سبطاً كشعر الروم بل كان : واسعها لينها : الجود يعني أن كفه صلى الله عليه وسلم الشريفة كانت ألين من الحرير كما جاء في حديث أنس : البطن أو ظاهره. يعني أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عظيم البطن بل كان لضموره مساوياً : أنه صلى الله عليه وسلم كان حلو الشمائل كريم الأخلاق أديباً.

إذا افتريء النور من فيه خارجاً كأن ثنياه بروق تلهب

: يشير بهذا البيت إلى قول ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا ضحك رؤي كالنور يخرج من بين ثنياه لها لمعان كالبرق.

ذكي حجي سبط العظام مطيب

: يشبه بها أسنانه صلى الله عليه وسلم لبياضها وبريقها : ممتدها والمطيب: من طيب الرائحة وطيب حسن الخلق.

قويم قناة لم يكن متردداً قصيراً لا هو الطويل المشذب

يعني أن من رآه صلى الله عليه وسلم عن بديهة أي فجأة هابه أي خافه وحسبه ملكا لمهابته في النفوس فإذا خالطه لم يجد منه إلا الأخلاق الطيبة لتواضعه يشير لقول : من رآه بديهة هابه من خالطه معرفة أحبه.

أشد من العذرا حياء بخدرها كريم السجايا للخنى متجنب

: هو الستر الذي يضرب في ناحية البيت للجارية التي لم تتزوج تضرب بها المثل في الحياء ومعنى كريم السجايا: طيب الأخلاق . العيب . يشير بذلك إلى أقوال عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشد حياء من العذراء في خدرها وكان خلقه القرآن ولم يكن فاحشا و .

يزول تقلعا ويمشي تكفؤا و يمشي الهوينى دائم البشر طيب

معنى يزول تقلعا: يرفع رجله رفعا بائنا لاكما يفعله المتكبر المختال يخطو تكفؤا: أن خطواته صلى الله عليه وسلم كانت برفق كالذي ينحدر من أعلى إلى ومعنى يمشي الهوينى: يمشي هونا أي سكيئة وتؤدة يشير بذلك إلى قول هند: إذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا يمشي هونا : كان صلى الله عليه أي طلق الوجه كما تقدم واسع الصدر لا يكدر عليه شيء : ما شممت طيبا لا شيئا قط أطيب من ريح النبي صلى الله عليه

فدونك من أوصافه الغر جملة تضمنها نظمي بها الدهر أعذب

() أي هاك بمعنى خذ (من أوصافه) أي من نعوته صفاته الخلقية والخلقية
() الكريمة الحسنة () أي نبذة صالحة كافية (تضمنها) أي احتوى عليها
() هذا فهو (بها الدهر) أي مدى الدهر () من غيره أي أحلى وأجمل
إذ لم يتضمنها نظم قبله.

أحمد هذا أحمد متوسلا الأجواد بالمدح تطلب

الهمزة حرف نداء أي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم (هذا أحمد)
() أي جاعلا مدحه إياك وسيلة يتقرب بها ()

() لا يصرح لهم عادة أنت صلى الله عليك وسلم أكرم

مدحك يا خير الأنام لم تكن لمدحي فقيرا بل أنا المتكسب

() أي بهذه القصيدة أو غيرها (لم تكن لمدحي فقيرا) أي ليس بك حاجة إليه يكفيك أن الله تعالى أثنى عليك في محكم التنزيل فقال:
لعلى خلق عظيم () بمدحك أي الذي له فيه حاجة بل حاجات منها الانخراط في سلك خدامك
غير غير.

لئن كنت ممن يحسن المدح ثم لم أقله فيك إنني لمخيب

أي إن كنت أحسن قرض الشعر ثم لم أمدحك به فأنا مخيب بالخاء الياء أي خائب لم تحصل لي من شعري نتيجة في نسخة لمجيب بالجيم والياء والواو في وفيك مقحمة على الوجهين
نسخة أخرى لمحبيب بالخاء المهملة فتكون الجملة حالي
تقديره فبئس الشاعر أنا مثلا أو نحو ذلك مما يقدر في كلام العرب

فمدحك بالنظم المجود حوكه زكاة على أهل القوائد توجب

() صلى الله عليك وسلم () ()
(حوكه) أي نسجه قرضه صياغته (زكاة على أهل القوائد)
() أي يوجبها عليهم حبك أو المروءة فكان قدراتهم الملكية تجعلهم أغنياء شأن الغني أن يلزمه إخراج الزكاة فيما استغنى فيه يعني أنه لا بأس أن يلتزم الشاعر بقصيدة مديحية كل عام
حول هذه الزكاة يحول في شهر ربيع الأول شهر المولد النبوي الشريف.

هنا تمت القصيدة الشريفة قد زاد بعضهم فيها هذا البيت:
عليك صلاة الله مسيا وآلك الأصحاب ما كوكب

: أي طلع أي عليك الصلاة والسلام أبدا وليس هذا البيت
القصيدة إنما زاده بعضهم لتتختم بالصلاة النبوية قد قال الشيخ الناظم رحمه
الله تعالى في آخر شرحه للرسالة عند صلاتها الأخيرة:
صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ورد به حديث ضعيف رواه أبو نعيم ولم
يذكره العلماء من المواضع التي تكره فيها ا هي عند العثرة
عند البيع
بإلله التوفيق اهـ منه.

صلى الله على سيدنا محمد آله صحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين اللهم اجعل آخر كلامي شهادة أن لا إله
إلا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.